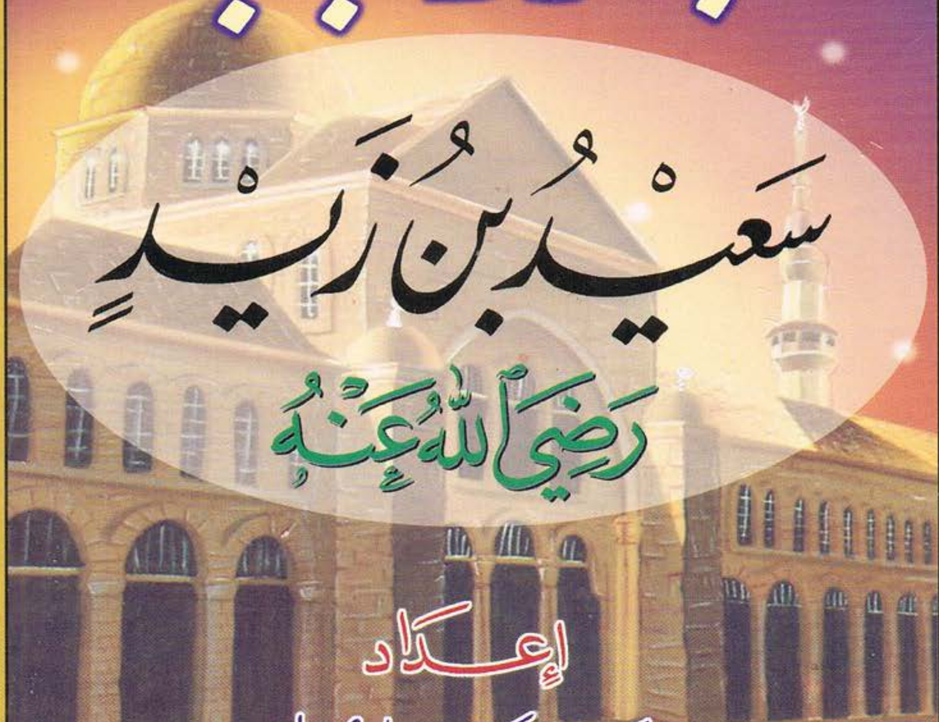
١٠

العشرة المبشرون بالجنة

سعيد بن زيد

رضي الله عنه



إعداد
خالد خادم السروجي

مكتبة ابن القيم

١٠

العشرة المبشرون بالجنة

سعيد بن زيد

رضي الله عنه

إعداد
خالد خادم السروجي

١٠ - سَعِيْدُ بنُ زَيْـدٍ

في بَـيْتٍ منْ بيُوتِ مكَّةَ ، كانَ يعيشُ رجلٌ يحمِلُ في أعْمَاقِهِ رُوحَ التَّوحيدِ الخَالِصَ للهِ خالِقِ كُلِّ شَيْءٍ ، ورَغْمَ أنَّ مُحمَّداً ﷺ كانَ لم يُبْعَثْ بَعْدُ ، إلاَّ أنَّ آثـارَ ذلِكَ الإيمانِ الخـالِصِ باللهِ ربِّ العـالمينَ كانَتْ تَـظْهَرُ في كثيرٍ منْ تَصرُّفاتـهِ وأقوالِـهِ وأفعالِهِ ، ذَلِكَ أنَّ معْرِفـةَ اللهِ ، والشُّعورَ الدائِـمَ بِـوُجودِهِ ، وتقديـرَهُ للمقاديرِ ، كانَت هي الأصْلَ مُنْذُ أن بعثَ اللهُ النَّبيَّ إبراهِيمَ وبنَى الكَعْبَـةَ المُشَرَّفـةَ الَّتي كانتْ ومازالتْ مُنْذُ آلافِ السِّنْينِ قِبْلةَ المُوَحِّدينَ ، فقَدْ كانَ الشِّرْكُ شيئاً طارِئاً على حَياةِ العَربِ ، فمُنْذُ أنْ أتَى

إِسْمَاعيلُ عليهِ السَّلامُ معَ والِدِهِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ إلى مكَّةَ ، ثُمَّ بَنَوُا الكَعْبَةَ المُشَرَّفَةَ بأيديْهِما الطَّاهِرةِ ، جعلَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ويدعُو ويقولُ: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ .

في ذلِكَ البَيْتِ في مكَّةَ كانَ يُقيمُ زيدُ بنُ عَمْرٍو والدُ الصَّحابيِّ الجليلِ سَعيدِ بنِ زَيْدٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وعاشَ زيدٌ حياتَهُ وهوَ على دينِ الخليلِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ مُوحِّداً للهِ ، ومُؤْمِناً بهِ ، رغمَ أنَّ نُبُوَّةَ مُحمَّدٍ ﷺ لمْ تَظْهَرْ بَعْدُ .

ورَغْمَ أنَّ الجاهليَّةَ قدِ اسْتبدَّتْ في آخرِ الأمرِ ، وانْتَشَرَتْ عبادةُ الأَصْنَامِ ، وقَتْلُ البناتِ ، وشُرْبُ الخَمْرِ والزِّنىٰ ، إلَّا أنَّهُ بقيَ رجالٌ حُنَفاءُ اجْتَنَبُوا كُلَّ هذا الرِّجْسِ منْ عِبادةِ الأَصنامِ وقولِ الزُّورِ ، والشِّركِ باللهِ إلى غيرِ ذلكَ منَ العَاداتِ الجَاهِليَّةِ الَّتي

كانَتْ قدِ انْتَشَرتْ بينَ العَرَبِ قبْلَ بِعْثَةِ النَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ.

عاشَ زيدٌ على التَّوحيدِ الخَالِصِ ، فكانَ لا يَأْكُلُ منَ الذَّبائحِ الَّتي تُذْبَحُ لِلأَصْنَامِ ولا يُذْكَرُ اسمُ اللهِ عَلَيهَا ، وكانَ يقُولُ لِلْمُشْرِكينَ الَّذينَ يأْكُلونَ هذهِ الذَّبائحَ :

«الشَّاةُ خَلَقَها اللهُ ، وأنْزَلَ لَها الماءَ من السَّماءِ ، وأَنْبَتَ لهَا الكَلأَ منَ الأرضِ ، ثُمَّ تَذْبَحُونَها على غيرِ اسْمِ اللهِ ، فأنَا لا آكُلُ إلاَّ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عليهِ».

ومرَّتْ أسْماءُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ رضيَ اللهُ عنهما في أحدِ الأَيَّام ، فرأَتْ زَيْدَ بنَ عمروٍ مُسْنِداً ظهرَهُ إلى الكَعْبةِ يَقُولُ:

«يا معْشَرَ قُريشٍ واللهِ ما فيكُمْ أحدٌ على دينِ إبْرَاهِيمَ غَيْرِيْ».

وكـانَ كُلَّما رأَىٰ أحَداً يُحاوِلُ أنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ

ويَضَعَها في القَبْرِ ويَرْمي فَوْقَها التُّرابَ وهيَ ما تزالُ على قيدِ الحيَاةِ؛ يُحاوِلُ مَنْعَهُ من ذلكَ ويَقُولُ:

«أُكْفُفْ عنْ هذَا العملِ القَبِيحِ، وأنَا أكْفِيكَ مَؤُونتَها».

وكانَ زيدُ بنُ عَمرٍو يَنْهى النَّاسَ عنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ في الجاهليَّةِ ما اسْتَطاعَ إلى ذلِكَ سَبِيْلاً.

اسْمُهُ ونَسَبُهُ

مِنْ هَذا الأبِ الصَّالحِ كانَ نَسْلُ سَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْروِ بنِ نُفَيْلِ بنِ عبدِ العُزَّىٰ بنِ رَباحِ بنِ عبدِ اللهِ بن رزَاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ القُرَشِيِّ.

يَجْتَمِعُ نَسَبُهُ معَ رسُولِ اللهِ ﷺ في كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ.

وأُمُّهُ فاطِمَةُ بِنْتُ بعجة بنِ أميَّةَ منْ خُزاعَةَ.

تَحْتَ هَذا الأبِ المُوَحِّدِ الطَّاهِرِ زيدٍ نَشَأَ سَعيدُ

رضيَ اللهُ عنهُ على التَّوحيدِ والطُّهْرِ ، وتعلَّمَ من أبيهِ الأَخْلاقَ الكَرِيمةَ ، والصِّفاتِ النَّبيلَةَ .

وما إنْ سَمِعَ سعيدٌ رضيَ اللهُ عنهُ بالنَّبيِّ محمدٍ ﷺ ودَعْوَتهِ حتَّى أسْلَم ، وأسْلَمتْ معَهُ زوجتُهُ فاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ أُختُ عُمرَ بنِ الخطَّابِ .

قِصَّةُ إسْلامِ عُمرَ بنِ الخطَّاب

كانَ الصَّحابيُّ خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ رضيَ اللهُ عنهُ يَذْهَبُ إلى بيتِ سعيدِ بنِ زيدٍ ليُعَلِّمَهُ ويُعَلِّمَ زوجتَهُ القُرآنَ ، ويتْلُوَ عليهِما ما يَتنَزَّلُ منَ الآياتِ ، وبينما هُمْ على هذهِ الحالِ إذا بِعُمَرَ بنِ الخطَّابِ ـ وكان لم يُسلم بعد ـ يتقلَّدُ سَيْفَهُ ، ويُسْرِعُ الخُطَا بَعْدَ أَنِ اشْتاطَ غَضَباً والشَّررُ يتطايَرُ من عَيْنَيهِ ، فيُقابلُه رجلٌ من بني زُهْرَةَ فيسألهُ مُتَعَجِّباً من حالهِ :

إلى أينَ تذْهَبُ يا ابنَ الخطَّابِ . . . ؟

فَيُجِيْـبُ عُمَـرُ: أريـدُ أنْ أذهَـبَ إلـى مُحَمَّـدٍ فأقْتُلهُ. . ، لقَدْ شَتَمَ آلِهَتَنا ، وسفَّهَ أحْلاَمنا. . !

فقالَ لهُ الرَّجُلُ: وكيفَ تأْمنُ مِنْ بني هَاشِمٍ وبني زُهْرَةَ على نفسِكَ إنْ قتَلْتَ مُحمَّداً ؟!

قال عُمرُ: ما أراكَ إلاَّ قدْ صَبأْتَ وكفَرْتَ بدِيْنِنا وأصْبَحْتَ على دينهِ.

قالَ الرَّجلُ: قَبْلَ أنْ تَقْتُلَ مُحمَّداً اذْهَبْ إلى دارِ أُخْتِكَ وزَوْجِها لِتُقِيْمَ أمْرَهُمَا. . . فَقَدْ أصْبَحتْ وزَوْجُها على دينِ مُحمَّدٍ. . . !!

عِنْدئِذٍ تحوَّلَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ إلى بيتِ أُخْتِهِ فاطمَةَ وزوجِهَا سَعيدٍ ، وعندمَا اقْتَربَ عُمرُ من البَيْتِ سَمِعَ كَلاماً غرِيْبَـاً لمْ تَعْرِفْهُ العَرَبُ ، فدخَلَ بيْتَ أُخْتِهِ سَائِلاً: ما هذهِ الهَيْنَمَـةُ الَّتي سَمِعْتُها عِنْدَكُمْ ؟ وكانَ خبَّـابٌ قدِ اخْتَبأَ دَاخِلَ الدَّارِ عِنْدَما عَرَفَ أنَّ عُمرَ قدْ جَاءَ لِلْمَكَانِ.

فقالَ سعيدُ بنُ زيدٍ: أَرَأَيْتَ يا عُمرُ إنْ كانَ الحقُّ في غيرِ دينِكَ.

فوثَبَ عُمرُ إلى سعيدٍ لِيَضْرِبَهُ، فتَدَخَّلَتْ فاطمةُ بَيْنَهُما، فضَرَبَها عُمرُ على رأسِهَا، فَشَجَّها وسَالَ منها الدَّمُ.

فقالَتْ فاطمةُ بِنْتُ الخطَّابِ: نَعْمَ لقدْ دَخلْنَا في دينِ مُحمَّدٍ فاصْنَعْ ما بَدَا لكَ.

فلمَّا رأىٰ عُمرُ الدَّمَ على وجهِهَا رقَّ قلبُهُ لَها، وأخذتْ تباشِيرُ الهِدَايةِ تَرْتَسِمُ على وجْهِهِ، فقالَ: أعطُوني هذَا الكِتابَ الَّذي سَمِعْتُكم تَقْرَؤُونَ فيه.

فقَالَتْ فاطمةُ بنتُ الخطَّابِ لأَخِيْها عُمَرُ: إنَّكَ رجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ، وهذَا القُرْآنُ لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرونَ... ، اِذْهَبْ فاغْتَسِلْ، فاغْتَسلَ عُمرُ ثُمَّ أمْسَكَ الصَّحِيفَةَ وقرأَ قولَهُ تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ

خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾
لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾
[طه: ١ ـ ٦].

لقدْ نفذَتْ هذه الآياتُ مثلَ الأشعَّة إلى قلْب عُمرَ، فسألَ في أدَبٍ وخُشُوعٍ: أين مُحمَّدٌ، دُلُّوني علَيْه.

في هذه الأثْناء صَاحَ خَبَّـابٌ منْ داخِلِ الدَّارِ وكانَ مُخْتَبِئَـاً وقالَ:

(أبْشرْ يا عُمرُ لقد دَعا رسولُ الله ﷺ أنْ يُعزَّ الله الإسلامَ بأحبِّ العُمرَيْن إليه، عُمرَ بنَ الخطَّاب، أو عمرو بنِ هشَامٍ، وأرجو أنْ تكونَ صدقَتْ فيكَ الدَّعْوَةُ).

فذَهَبَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ إلى رسولِ الله ﷺ وأسْلَمَ عِنْدَهُ.

وكانَ بيتُ سعِيد بنِ زَيْدٍ هوَ المكانَ الَّذي جعلَ

اللهُ قلبَ هذا الرَّجُلِ (عمرَ بنِ الخطَّابِ) يَتَحوَّلُ فيه مِنَ الكُفْرِ والشِّرْكِ إلى الإيمانِ ، فكانَ لَهُ هَذا الشَّرفُ العظيمُ ، فقَدْ كانَ إسْلَامُ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ بدايةَ مَرْحلَةٍ جديدةٍ في حياةِ المُسْلمينَ وَتَحوُّلاً كامِلاً في الدَّعوةِ ومسَارِهَا.

كانَ سَعِيدُ بنُ زيدٍ معَ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَما اهْتَزَّ جَبَلُ حِرَاءَ منْ تَحْتِهِمْ ، فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «اُثْبُتْ حِرَاءُ فإنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إلاَّ نَبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ».

هجْرَتُـهُ رضـيَ اللهُ عـنـهُ

لَمْ يَسْلَمْ سَعِيدُ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ أذَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ ومُضَايَقَتِهِمْ مِثْلَ غيرِهِ منْ أَصْحَابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ولمَّا أَذِنَ رسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ بِالْهِجْرَةِ إلى المدينةِ ، كانَ سعيدٌ رضيَ اللهُ عنهُ من بَيْنِ المُهاجرينَ ، حَيْثُ أقَامَ عِنْدَ رُفَاعَةَ بنِ المُنذِرِ ، أخي أبي لُبَابَةَ.

وقد سَاهَمَ سَعيدُ رضيَ اللهُ عنهُ في بِنَاءِ الدَّولَةِ الإسْلَامِيَّةِ الجديدةِ ، فكانَ واحِداً منَ الصَّحابةِ الَّذينَ لازَمُوا رسولَ اللهِ ﷺ في كُلِّ أحْوَالِهِ ، وشهِدَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ بالجنَّةِ فقَدْ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «سعيدُ بنُ زيدٍ في الجنَّةِ» ، وهذهِ شَهادةٌ عظيمةٌ منْ رسُولِ اللهِ ﷺ .

جهادُهُ رضيَ اللهُ عنهُ

شاركَ سعيدُ بنُ زيدٍ في جميعِ معَارِكِ المسلمينَ الجِهَاديَّةِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ .

وقَدْ أرسَلهُ رسولُ اللهِ ﷺ معَ طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهما لِيَسْتَطْلِعَا خبرَ عِيْرِ قريشٍ المحمَّلةِ بالبَضائِعِ ، وعندمَا عَادَا ، وجَدَا رسولَ اللهِ ﷺ عائِداً من غَزْوَةِ بدرٍ بَعْدَ أنِ انْتَهتِ المَعْرَكةُ ، وانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ على أعْدائِهم ، فحزِنَ رضيَ اللهُ عنهُ حُزْناً شدِيداً لأنَّهُ لم يَحْظَ بِشَرفِ قِتَالِ الكُفَّارِ

ومُجَاهدتِهمْ ، ولكِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ، كانَ يَعْلَمُ صِدْقَ نِيَّةِ سَعيدٍ وصَاحبِهِ رضيَ اللهُ عنهما ، فقَسَمَ لَهُمَا أَسْهُمَاً كأَسْهُمِ المُقَاتِلينَ ، وأعْلَمَهُمَا بأنَّ لَهُما أجْراً كأجْرِ المُجَاهدينَ.

كانَ سعيدُ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ واحداً من جُنودِ المسلمينَ المُقَاتِلينَ في مَعَارِكِ الفُتوحَاتِ الإسْلاميَّةِ في بلادِ الشَّامِ ، ولمَّا فتحَ اللهُ بلادَ الشَّامِ للمسلمينَ ، وكانَ أبو عُبَيْدَةَ ابنُ الجرَّاحِ قائِداً لهذِهِ الجُيوشِ ، فولَّى سعيدَ بنَ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ على الشَّامِ لِمَا يَعْلَمُ فيهِ منَ الخَصائِلِ والصِّفاتِ الحَمِيْدَةِ كالصِّدْقِ ، والورَعِ ، والزُّهْدِ ، ولكنَّ سعيداً رفَضَ الإمَارَةَ وطلبَ من أبي عُبَيْدَةَ أن يُعْفِيَهُ منَ الإمَارَةِ ، فلمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فيها رضيَ اللهُ عنهُ ، وقد شَهِدَ لهُ أبو عُبَيْدَةَ ابنُ الجرَّاحِ عِنْدمَا كتبَ إلى أميرِ المؤمنينَ عُمرَ بنِ الخطَّابِ يَصِفُ لهُ أحوالَ قُوَّادِهِ ورَعيَّتِهِ ، فلمَّا تكلَّمَ عن سعيدِ بنِ زيدٍ قالَ عنهُ: «إنَّ خيْرَاتِ

بلادِ الشَّامِ الَّتي أصَابَها المسلمونَ في فُتوحِهِمْ لم تَزِدْ سعيدَ بنَ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ إلاَّ زُهْداً في الدُّنيا ، ورغْبَةً في الآخِرَةِ . . » .

صَاحِبُ الدَّعْوَةِ المُجَابَةِ

لقَلَّما يَتَمتَّعُ رجلٌ بِكُلِّ الصِّفاتِ الَّتي جمعَها سعيدٌ رضيَ اللهُ عنهُ في شَخْصِيَّتِهِ الفَذَّةِ ، فَقَدْ كانَ مَطْعَمُهُ حلالاً ، ومشربُهُ حلالاً ، كثيرَ الخَوْفِ والخَشْيةِ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، زاهِداً في الدُّنيا وزَخارِفِهَا ومُقبلاً على الآخِرَةِ وما فيها ، يَجْمَعُ العِلْمَ والحِلْمَ والصِّدْقَ والبِرَّ .

كُلُّ هذهِ الصِّفاتِ جَعَلَتْهُ رضيَ اللهُ عنهُ من مُجابي الدَّعْوَةِ لِكَثْرَةِ صَلاحِهِ رضي اللهُ عنهُ ، حتَّى إنَّ واحِدَةً منْ أُمَّهاتِ المُؤْمنينَ أوْصَتْ إنْ هيَ ماتَتْ أنْ يُصَلِّيَ عليها ويَدْعُوَ لَها سعيدُ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهما .

وحدَثَ مرَّةً أنَّ امْرَأةً اِسْمُها أرْوَى بنتُ عُمَيْسٍ

زعمتَ أَنَّ سعيدَ بنَ زيدٍ قدْ اِغْتَصَبَ قِسْمَاً مِنْ أَرْضِها وضمَّها إلى أرضِهِ ، وجعلَتْ تتكلَّمُ بذلكَ بينَ المُسلمينَ ، ثُمَّ اشْتَكَتْ إلى مروانَ بنِ الحَكَمِ ، وكانَ والياً على المدينةِ ، فأرْسَلَ إليهِ رِجَالاً يَسْأَلُونَهُ عنْ ذلِكَ ، فَصَعُبَ عليهِ أنْ يتكلَّمَ الناسُ أنَّ سعيداً قدْ غَصَبَ أرْضَاً لِامْرَأَةٍ وقالَ:

كيفَ أظْلِمُهَا وقدْ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:

«من ظَلَمَ شِبْرَاً منَ الأرضِ طُوِّقَهُ يومَ القِيَامةِ من سَبْعِ أرضينَ». اللهُمَّ إنَّها قدَ زَعَمتْ أنِّي ظلمتُها ، فإنْ كانتْ كاذِبَةً ، فأَعمِ بصرَهَا ، وألقِهَا في بِئْرِها الَّذي تُنازِعُني فيهِ ، وأَظهِرْ من حقِّي نوراً يُبيِّنُ للمسْلِمين أنِّي لَمْ أَظْلِمْهَا.

فلم يَمْضِ وقتٌ على ذلكَ حتَّى جاءَ سَيْلٌ عظيمٌ كشفَ الحَدَّ المُخْتَلَفَ فيهِ بينهما ، فتبيَّنَ أنَّها كانَتْ كاذِبَةً ، ولم تلْبَثْ أن عميَتْ ، ثمَ سقَطتْ في بِئْرِها فمَاتَتْ.

ويَذْهَبُ العجَبُ إنْ عَلِمنا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «اِتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلَومِ ، فإنَّهُ لَيْسَ بينَهَا وبينَ اللهِ حِجَابٌ» ، فكيفَ إذا كانَ هذا المَظْلُومُ هوَ سعيدَ بنَ زيدٍ ، أحدَ العَشَرةِ المُبَشَّرِينَ بالجنَّةِ؟!

وفَاتُهُ رضيَ اللهُ عَنْهُ

مَاتَ سعيدُ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ في العَقِيْقِ بِالقُرْبِ منَ المدينةِ، ثُمَّ حُمِلَ إلى المدينةِ ودُفِنَ فيها ، وكانَ ذَلِكَ سَنَةَ إحْدى وخمسِينَ هِجْرِيَّةً ، وبِمَوْتِهِ انْطَوَتْ صَفْحَةٌ خالِدَةٌ من حياةِ وَاحِدٍ منَ العَشَرَةِ المبشَّرينَ بالجنَّةِ ، نَفَعَنَا اللهُ بِسِيْرَتِهِ وحشَرنَا في زُمْرَتِهِ.

والحمد للهِ ربِّ العالمين

* * *

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعليّ في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة» وسعيد بن زبير في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

أخرجه الترمذي وهو حديث صحيح (انظر جامع الأصول بتحقيق الأرناؤوط).

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا ☎ ٢٢٢٨٦٩٢ ✉ ٢٤٤٧٣